

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي

جامعة النجاح - كلية الفنون الجميلة



الأزياء الشعبية التراثية في جنوب محافظة الخليل

إعداد:

د. عطا أوجين

2012/ 10/10 -6

ملخص البحث

لقد تعرضت من خلال هذا البحث إلى الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل ، واقصد تحديدا المناطق التالية : دورا، الظاهرية ، يطا ، والسموع ، وهي المناطق التي سلمت من الاحتلال بعد عام 1948، وما يتبع لها من قرى وخرب وأماكن سكنى متفرقة ، حيث تتمتع هذه المناطق بزي واحد تقريبا ، وهو زي معروف ومشهور بخصائصه ومزياه ، ضمن ذلك التنوع الغزير الذي تحظى به بلادنا من تراث عريق في جميع المجالات ، ويعد الزي التراثي إحدى تجليات هذا التراث . ومن الجدير بالذكر أنني لم أتعرض إلى أزياء الرجال للتشابه بينها في كل أنحاء فلسطين تقريبا ، وحرصا على عدم التكرار مع أبحاث أخرى ، إضافة إلى الغزارة والتنوع والثراء في أزياء النساء قياسا بأزياء الرجال، وقد تعرضت إلى أغلب أشكال ذلك الزي مستعينا في ذلك بما توفر من المصادر المكتوبة والإلكترونية ، والخبرة الشخصية، وبعض المعمرات من النساء اللواتي استفدت منهن كثيرا في هذا البحث، وعلى الرغم من تنوع تلك الأزياء وثنائها إلا أن ما ورد منها في المراجع الموثقة لا يكاد يذكر لضآلته، وما ذلك إلا لغياب الدراسة والتسجيل الوافي لتلك الأزياء التي بدأ كثير منها ينقرض حاليا . وكان ذلك من أهم أهداف هذا البحث .

وقد احتوى بحثي على مقدمة أوضحت فيها ما يتميز به الزي الفلسطيني بين الأزياء العالمية،ومن ثم نبذة تاريخية عن الأزياء الفلسطينية التراثية ، وتطرقت بشكل موجز لفن التطريز الفلسطيني ، وكيف أصبح رمزا يساير كل المراحل ، والتقلبات ، التي مرت بها بلادنا، وأخيرا تناولت بشيء من التفصيل أزياء النساء في تلك المنطقة جامعا أقصى ما أستطيع، ومركزا على ما انقرض منها أو أوشك على الانقراض، ومحاولا إحياء ذلك التراث القيم ، ومبينا أهميته الكبرى في إبراز خصوصية الشعب الفلسطيني، ومكانته التاريخية وجذوره الممتدة عبر آلاف السنين على تلك الأرض المقدسة .

مقدمة البحث :

لقد أصبح الزي الشعبي التراثي اليوم عنوانا بارزا ومميزا لكل أمة من أمم الأرض ، تتباهى وتفتخر به بين شعوب العالم بماضيها العريق منذ فجر التاريخ ، فعادت كل أمة تدرس هذا التاريخ وتعود لمخلفاتها الحضارية الموهلة في القدم وتستلها وتعيد لها الحياة مرة أخرى بعد مضي آلاف السنين ، وكلما كان هذا الزي موهلا في القدم أصبحت له مكانة ورمزية فائقة عند الشعوب . ولا شك بأن كل أمة تتفاخر بزيها الشعبي التراثي حيث تعرف كل أمة وكل جماعة بزيها فنقول هذا هندي وهذا روسي وهذا انجليزي وهذا عربي.. وبعض الشعوب لا زالت تحافظ على زيها التقليدي مع شيء من التحوير والتطوير كما نرى ونلمس ذلك عند

الهنود وفي شبه الجزيرة العربية .. وعلى الرغم من التطور والتقدم والطفرات الحاصلة في الأزياء إلا أننا نجد فيه جلالا وروعة خاصة عند رؤية الزي الشعبي التراثي ..



أما بالنسبة لنا في فلسطين فلم تعد النظرة للزي الشعبي نظرة احترام وإعزاز وإعادة وصياغة له فقط؛ بل اكتسب لدينا صفة تقرب من التقديس، لما له ارتباط بقضية مقدسة تتبع من صميم هذا الشعب ويعاني أشد المعاناة من جرائها ، وقد حاول الآخر سرقة هذا التراث ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وهوروا وطورا وغيروا، ولكن الأصالة الفلسطينية ظلت تتشع من خلال هذا التراث الأصيل العريق الذي يرتبط بكياننا ووجودنا عبر عصور التاريخ المتعاقبة على هذه الأرض ، ولم نغفل عنه في يوم من الأيام وظل رجالنا ونساؤنا يرتدونه حتى اليوم في كل ركن من أركان فلسطين . وقد تزيأ به وأشهره رموز هذه القضية من المناضلين مثل عبد القادر الحسيني ، والحاج أمين الحسيني، وأحمد ياسين ورمز الشعب الفلسطيني الذي أشهر هذا الزي وعنونه بعنوان فلسطين الخالدة الشهيد الراحل ياسر عرفات فأصبح رمزا وعنوانا وعلما لهذه القضية الخالدة الحية عبر العصور .

إن الزي الفلسطيني التراثي يعد مفخرة لهذا الشعب بما يتميز به من جمال وأناقة وأصالة وحسن صياغة، بحيث يضفي على من يرتديه صبغة جمالية فائقة ، وقد أصبحت نساؤنا وفتياتنا يتزين بهذا الزي في الأفراح والمناسبات السعيدة، وارتدته طالبات الجامعات في الحفلات ، وكذلك كل من يمثل الفولكلور الفلسطيني خارج الوطن وداخله؛ حيث اكتسب صبغة عالمية وأصبح زيا عالميا مشهورا يعجب به كل من يراه ، وهذه دلالة أكيدة على رقي هذا الزي ورفعة ذوق من كانوا يرتدونه، فأصبح ينافس أفضل الأزياء

العالمية ، وقد تنبه الصهاينة إلى ما في هذا الزي من عناوين الذوق والسحر والجمال الفائق ، فاختروه عنوانا وزيا مفضلا لمضيفات طائراتهم التي تجوب العالم ، ولم يكن اختيارهم عبثا لهذا الزي فقد وجدوا فيه كل عناصر الجمال والذوق الرفيع وهذا دليل أكيد على أن من ابتدعوه واخترعوه كانوا ضاربين في جذور الحضارة والرقي منذ أعماق التاريخ، ولم يظهر هذا الزي بتصاميمه الرائعة إلا من خلال سلسلة طويلة من التجارب الحضارية المتعاقبة حتى وصل إلينا بتلك الصورة الرائعة ، وبخاصة الأزياء النسائية التي تضيء على كل من يلبسها تلك الروعة، فكأنها لوحة فنية رائعة تفنن رسامها في ألوانها وزركشتها ترتاح إليه العين وتعجب به النفس، لما فيه من إبداع ورقي وجمال . حيث تتناسق الألوان بشكل بديع ، إضافة إلى الرسومات المعبرة الجميلة .. وسنتحدث بشيء من التفصيل من خلال هذا البحث عن أشهر تلك الأزياء مستعرضين أكثر سماتها تميزا وروعة ، وممثلين على كل ذلك بما توصلنا إليه من الأزياء القديمة للنساء من خلال عرضنا لصور تمثل هذا التراث الرائع ، وقد استعنت في ذلك بكثير من الرجال والنساء وحاولت الوصول إليهن في القرى النائية ، والعزب القديمة ، وجمعت أكبر قدر ممكن من الأزياء وبخاصة التي أوشتت على الانقراض ، لكي تبقى هادية ومنيرة لأجيالنا ومدللة على ماضيهم الحضاري العريق في هذه الأرض، وما هذا التنوع والغزارة في أشكال الزي المختلفة إلا دليلا أكيدا على تنوع ثقافي حضاري ينبع من كل بيئة في فلسطين وكأنها كتاب مرقوم .

لقد لفت نظري في هذا البحث ذلك التنوع حتى بين القرى المتقاربة ، وكأن لكل جماعة خصوصيتها الخاصة بها فتجد الألوان المختلفة وتجد التطريز المختلف، وكذلك التصميم والشكل والهيئة وهذا دليل على مدى ما كان يتمتع به هذا الشعب من إبداع وفكر وثقافة فابتعد عن التقليد والتكرار، وأبدع وجدد وطور وهذا الأمر لا يتأتى إلا من شعب مبدع ذي ثقافة متنوعة وأصيلة ، وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أن هناك قواسم مشتركة كثيرة سنتحدث عنها خلال ثانيا هذا البحث، إضافة إلى ما يمتاز به من الأناقة المفرطة وبخاصة في استخدام التطريز والألوان والتصاميم الممثلة للزي الفلسطيني العريق.

نبذة تاريخية:

بدأت الأزياء الشعبية الفلسطينية بالظهور في فترة العصر الحجري القديم منذ حوالي 28000 سنة قبل الميلاد، حينما ترجم الإنسان الفلسطيني مشاعره عبر رسومات وجدت آثارها على ألواح حجرية ، ثم نقلت تلك الرسومات إلى الملابس الجلدية القديمة ، ومنها إلى النسيج بما يعرف بفن التطريز . وقد استخدم النسيج في بدايته من صوف الغنم ، عندما نجح الإنسان الفلسطيني في استئناس الحيوانات في فترات العصر الحجري الوسيط حوالي 12000 ق . م فأصبح لكل قرية من القرى المنتشرة في فلسطين

رسوماتها الخاصة التي عبّرت بالضرورة عن فكرها وطقوسها وحياتها الاجتماعية وتطورات واقعها على الأرض حيث عُثر على العديد من الآثار التي تعود إلى الألف الثالثة قبل لميلاد لمجموعة من الأنوال والإبر والدبابيس المصنوعة من الحجر والطين والتي استخدمت في عملية التطريز كما عُثر على نقوش تعود إلى 1700ق.م تصور مجموعة من الكنعانيين يرتدون ثياباً مطرزة برسومات جميلة وقد تطور هذا الفن المتميز عند الإنسان الفلسطيني تبعاً لتطور آلات استخدامه خاصة بعد ظهور الإبر النحاسية والحديدية ، فارتدى الرجال والنساء على حد سواء الأزياء المطرزة بمختلف الرسومات تبعاً للقرى والمناطق التي عاشوا فيها إلى أن جاء العصر الإسلامي حين حرم الإسلام على الرجال التشبه بالنساء فأخذت ملابس الرجال منحاً مختلفاً عن ملابس النساء.

وقد عُثر على نقوش تعود إلى 1700ق.م تصور مجموعة من الكنعانيين يرتدون ثياباً مطرزة برسومات جميلة وقد تطور هذا الفن المتميز عند الإنسان الفلسطيني تبعاً لتطور آلات استخدامه خاصة بعد ظهور الإبر النحاسية والحديدية ، فارتدى الرجال والنساء على حد سواء الأزياء المطرزة بمختلف الرسومات تبعاً للقرى والمناطق التي عاشوا فيها إلى أن جاء العصر الإسلامي حين حرم الإسلام على الرجال التشبه بالنساء فأخذت ملابس الرجال منحاً مختلفاً عن ملابس النساء



أزياء عائلة من قضاء الخليل:

.1

زي السموع أو يطا (إلى اليمين) ، لا يشاهد مثله هذه الأيام. ثوب كثير الترقيع ومطرز على الصدر فقط، وغطاء رأس مطرز (غدفة) قديم جداً وهو نفس الغطاء الأصلي.(أواخر الثلاثينات) .

<http://ar.wikipedia.org/wiki/>

ويعد الزي الشعبي الفلسطيني جزءاً من الزي الشعبي لمنطقة بلاد الشام، فالزي هنا مشابه لبقية المناطق الشامية مع اختلافات في طريقة التطريز، أو الألوان ، أما بالنسبة للزي النسائي فيشكل التراث الفلسطيني نتاج حضاري عبر آلاف السنين، وهو تراكمات السنين منذ أيام الكنعانيين. وخلال السنوات الماضية، أدخلت تعديلات كثيرة على فن التطريز الفلسطيني، وتم صنع عشرات القطع الحديثة المطرزة لتناسب مختلف الأذواق، ولم يعد الأمر يقتصر على الأثواب فقط.

وتحظى الأثواب الفلسطينية، باهتمام عالمي متزايد، وتتشط مؤسسات فلسطينية، ونساء فلسطينيات، وأجنبيات، وحتى تجار إسرائيليون، في ترويج الأثواب الفلسطينية، على مستوى عالمي، حيث يزداد الطلب على المطرزات التي تعود إلى زمن الكنعانيين.وقد كتب الكثير من المسافرين والرحالة إلى فلسطين خلال القرن التاسع عشر والعشرين عن الأزياء التقليدية الفلسطينية وخاصة الثوب الفلاحي النسائي في الريف الفلسطيني. وتكاد تمتاز كل مدينة بل كل قرية فلسطينية عن الأخرى بنوع التطريز مثل : الخليل وبيت لحم والقدس وبيافا وغزة. وحتى الأربعينيات من القرن الفائت، كان زي المرأة يعكس الوضع الاقتصادي، وما إذا كانت المرأة متزوجة أو عزباء. كما كانت كل مدينة أو منطقة تمتاز بالتطريز ونوع القماش والألوان والقطع التي تستخدم في الثوب . ورغم هذه الاختلافات المحلية والإقليمية التي اختلفت إلى حد كبير بعد عام 1948 ونزوح الفلسطينيين، إلا انه لا يزال التطريز والملابس الفلسطينية تنتج في أشكال جديدة إلى جانب الثياب الإسلامية والموضات الغربية.

فن التطريز الفلسطيني :



لا نستطيع أن نتحدث عن الزي التراثي الفلسطيني دون الحديث عن فن التطريز الذي يعد العماد الرئيس والمميز لهذا الزي الذي يعكس حضارات متعاقبة مرت على بلادنا عبر العصور المختلفة ، فقد تطور هذا الفن منذ القدم إلى أن وصل إلى ذروته في الأناقة والشكل والألوان والتصاميم المختلفة، فتراه قد تشكل

بصورة هندسية دقيقة لا تعكس الذوق فقط بل المهارة الهندسية والرياضية التي امتازت بها المرأة الفلسطينية وهذا يعكس إلى حد ما مدى ما تمتعت به من جانب ثقافي وعلمي حتى وصلت إلى تلك الذروة من الإبداع ، والدقة ، والتميز ، فوصل إلينا فناً مكتملاً دقيقاً وبقية الأجيال تتناقله جيلاً بعد جيل حتى الآن ، ولم يقتصر هذا الفن على الأزياء فقط، وإن كانت الأزياء أهم تجلياته؛ بل تجده قد انعكس على كل مناحي الحياة في البيت الفلسطيني فزينت البيوت بالرسوم والصور المعبرة ، وكذلك أماكن الضيافة ، ومرافق الحياة المختلفة وقد انعكس جانب منه في منسوجاتهم الصوفية وفرشهم وبسطهم، ومخداتهم وشراشفهم وبراويزهم وأوعيتهم مثل أوعية حفظ الملابس (المخلاة ، والكنف) وأدوات الزينة (المكحلة) وغيرها، وكذلك نسيج القش من صوان وأوان مختلفة لحفظ الخبز (الجونة) وبعض المكايل (القبعة) تستخدم لكيل الطحين والقمح والعدس ، وتضع فيها المرأة كمية من الطحين عندما تذهب لخبز العجين في الطابون وهي صغيرة جداً وتستعملها عندما تستلف من جاراتها الطحين أو القمح، والحبوب بأنواعها وسعتها لا تتجاوز نصف كيلو غرام } ، والمعلق } ويستخدم لتعليق بعض الأشياء المهمة والتي يصيبها التلف بسرعة حفاظاً عليها من وصول أيدي الصغار إليها والعبث بها ، وسمي بذلك لأنه يعلق في مكان آمن في البيت لا تصله أيدي الأطفال }، والقدر } وهو وعاء كبير يوضع فيه القمح أو الشعير أو الذرة عندما تريد المرأة أن تنقله من مكان إلى مكان ، ويستخدم أيضاً كمكيال، ووعاء لتنقية الحبوب قبل الطحن أو الجرش وكل هذه الأواني مصنوعة من قش القمح المزخرف بشكل جميل وتتفنن النساء في صبغ القش قبل نسجه مما يعكس أشكالاً وألواناً ورسومات جميلة {) وهناك أشكال أخرى كثيرة تستخدم فيها الزخرفة ، وكثير من الأواني المستخدمة في البيت قد تم تزيينها برسومات ونقوش جميلة تماماً بما ينسجم مع فنهم ودقتهم في تطريز الأثواب والأزياء المختلفة التي يلبسها الرجال والنساء من الرأس إلى القدم .

وتتميز فلسطين بخريطة تطريز دقيقة، فجميع القرى تشترك في تطريز بعض القطب، وتختلف في وضعها على الثوب. وفي بعض القرى يُكثرون استعمال قطب بعينها فننخذ كثرثها دليلاً على انتساب الثوب إلى المنطقة. فالقطبتان الشائعتان في قضاء غزة هما القلادة والسروة. وفي رام الله يفضلون قطبة النخلة واللونين الأحمر والأسود. والتطريز منقارب في بيت دجن، ويظهر فيه تتابع الغرز التقليدي. وتمتاز الخليل بقطبة السبعات المتتالية وتكثر فيها قطبة الشيخ. وبطرزون الثوب من خلفه، على شريحة عريضة في أسفله. وثمة غرزة منتشرة بين الجبل والساحل تُسمى الميزان. وغرزة الصليب هي الأكثر شيوعاً في التطريز.

وقلما تظهر حيوانات في التطريز الفلسطيني، فمعظم الرسوم هندسية أو نباتية، انطلاقاً من التقاليد الإسلامية التي كرهت الصنم، والتجسيم والصورة كراهيتها للوثن. وأكثر الحيوانات ظهوراً في التطريز الحصان ومن الطيور الحمامة. وأهم الزخارف الشعبية أو العروق التي تستخدم في التطريز ما يأتي :

العروق الهندسية: أهمها المثلث، ثم النجمة الثمانية والدائرة والمربع والمعين. ومن الخطوط المستقيم والمتعرج والمتقاطع والمسنن وما إليها.

عروق النبات والثمر: النخل والسعف أو الجريد، ويطرزون أيضاً كوز الذرة والسرو والعنب والزيتون والبرتقال وسنابل القمح.

عروق الأزهار: عرق الحنون، وعين البقرة، وقاع فنانج القهوة، والزهرة المربعة الريشية، وخيمة الباشا، والزنبقة، وعرق التوت، وعرق الورد، وعرق الدوالي.

الطيور: الحمامة هي الشكل الغالب، ثم الديك والعصافير وديك الحبش، ورجل الجاجة، وقلما يصادف من الحيوان غير السبع والحصان، وكذا عين الجمل وخفه ورأس الحصان والحلزون. (المركز الفلسطيني للإعلام)

وأما الرسوم التفصيلية فتكاد لا تُحصى، ومنها: الأمشاط، وسكة الحديد، والدرج، والسلم، وفلقات الصابون، والنخل العالي، وعناقيد العنب، والتفاح، والسنابل، وقواوير الورد، وقذور الفاكهة، والبندورة، والخبيزة، والزهور، والورد، وسانان الشايب، ومخدة العزايي، وشيخ مشقلب، وشبابيك عكا، وعلب الكبريت، والمكحلة، والحية، والعرييد، والعلقة، وشجرة العمدان، والقمر المريش، والأقمار، وقمر بيت لحم، والفنانير، والقلويد، والريش، والفاكهة، والقرنفل، والحلوى، ومفتاح الخليل، وطريق حيفا، وطريق التبان، وطريق النبي صالح، وطريق يافا، وطريق القدس. (المركز الفلسطيني للإعلام)

وأجود القماش للتطريز الكتان والقطن، لأن تربيعة نسجها واضح، وعد القطب سهل، ولذا تتساوى الوحدات الزخرفية وتتنظيم وتتعامد بدقة. ومنهم من يستخدمون الصوف إذا كان خشناً. والخيوط المستخدمة في التطريز أربعة أصناف:

الخيوط الحريري: أعلى الخيوط وأثقلها. والثوب المطرز بها يزن ثمانية كيلوغرامات، ولا يُلبس إلا في الاحتفالات.

الخيطة القطنية: يطرز به على كل أنواع الألبسة، وهو رخيص، ولكن بعض خيوط القطن تبهت وتحلُّ ألوان بعضها على الألوان الأخرى.

الخيطة المقصب: في شمال فلسطين يطرزون به السترة والتقصيرة، وفي الثوب الدجاني الأبيض يطرز به أعلى الصدر والأكمام على قماش المخمل.

خيطة الماكينة: يُطرز به على قماش الساتان فقط، بالآلة. ويستخدم هذا الخيط أيضاً في وصل أجزاء الثوب بعضها ببعض، ويطرزون فوق الوصلة بخيط حرير.

ولا تكتفي المرأة الفلسطينية بتطريز الأثواب. بل تزخر بمهاراتها وذوقها المخدّات والطنافس والشراشف بخيطان الحرير أو الرسم، بإبرة يدوية بعدما تنقل الرسم على القماش. ومما يطرز به أيضاً المناديل. وربما أُدرجت كل هذه في الجهاز الذي تبدأ الفتاة الفلسطينية صنعه قطعة قطعة في العاشرة من عمرها، فتضعه في صندوق مزخرف لا تمسُّه أو تُظهره إلا في الاحتفالات والمواسم. وقد درجت الفتاة الفلسطينية على رش جهازها بالخطوط بين الفينة والفينة. (المركز الفلسطيني للإعلام) .

إن المتحدث عن هذا الفن ليقف مشدوها أمام دقة هذا الفن، والمهارة التي صاغته، وأحكمته بدقة وإتقان ، وقد برعت الفتاة الفلسطينية في هذا الشأن، وكانت هذه السمة عامة ومشاركة بين النساء فهن بحاجة إلى ثوب أنيق وجميل، فقامت بتزيين الأقمشة بذلك التطريز الرائع الذي يلفت الأنظار واضعة معياراً دقيقاً لكل الأعمار من الفتيات الصغيرات ومن ثم المراهقات، والمتزوجات وكبيرات السن؛ فكل تطريز يلائم العمر من حيث الكثافة، والألوان، والحجم، وكمية تناثره على الجوانب والصدر؛ فأصبحت تعرف كل أنثى بعمرها، وحالتها الاجتماعية ، والاقتصادية، بل ومستواها الثقافي ،من خلال التطريز على الثوب، وكأنه إشارات سيميائية متعارف عليها، فلا يضل الشاب الذي يريد خطبة فتاة، ولا تنزيا أنثى بغير ما صمم لها من خلال ذلك التطريز الرائع، وسنرى من خلال عرضنا لتلك الأثواب ما امتازت به كل فئة من هذه الفئات . فن التطريز لم يعد رسوماً مزرکشة فقط ؛بل أصبحت له دلالات اجتماعية، ومكانية، وعمرية، واقتصادية، ونفسية، وحتى ثقافية.... فكل منطقة تعرف بزيها، وكل فتاة تعرف حالتها الاجتماعية من أول نظرة ، ومستواها الاقتصادي... وهكذا أصبح ذلك الفن يعبر عن كل الحالات حتى الفرح، والحزن، والغضب أو التوتر.. فإذا كان الثوب زاهي اللون في التطريز أو اللون دل على حالة الفرح والسرور، والرضا وترتديه

المرأة في الأعراس والمناسبات السعيدة. وإذا كانت ألوانه غامقة زرقاء أو خضراء أو غير ذلك دل على حالة الحزن، أو الغضب أو عدم الرضا أو على وجود مشاكل عائلية فلا يمكن أن تلبس المرأة ثوبا زاهيا وتذهب إلى العزاء، أو العكس في الأفراح، وإلا يتم تفسير ذلك بتفسيرات شتى بحسب الموقف والعلاقة الشخصية . إن فن التطريز الفلسطيني لم يعد زركشة تتباهى بها المرأة بل أصبح رمزا تعبر من خلاله عن حالتها الاجتماعية والنفسية ، ورسالة مدللة على عنوانها، ومنطقتها ، وسكناها حتى لقد أصبحت ترمز به أخيرا بعد الاستعمار والاحتلال إلى النضال الفلسطيني من خلال رسومات معبرة ومدللة على ذلك ، وهذا دليل أكيد على أنه أصبح فنا متأصلا ومتطورا له دلالات كثيرة، وغزيرة تعبر من خلاله المرأة عن كل حالاتها وأوضاعها ... فالقماش مهما كان لونه يبقى كالورقة البيضاء تكتب عليها ما تشاء، فكتبت المرأة الفلسطينية تاريخه، وكل ما يخصها ونقشته في لوحات فنية زاهية معبرة ؛ مما عز نظيره في كل أزياء العالم، فأصبح هذا الزي فنا يدرس، ويقلد ، ويسرق بلا رادع لما له من خصائص ومميزات، تقرأ من خلاله أوضاع الشعب الفلسطيني، وتاريخه وثقافته، وآماله، وطموحاته من خلال فن تعبيره من أرقى ما توصل إليه العالم .

أزياء النساء في جنوب محافظة الخليل :



منطقة الخليل و بيت جبرين

الصورة مأخوذة من الشبكة الدولية للمعلومات (جوجل)

تميز الثوب الخاص بالمرأة الفلسطينية باحتوائه على وحدات زخرفية متوارثة عن الكنعانيين تمثل كل وحدة زخرفية دلالة تاريخية لرمز كنعاني قديم سواء أكان من رموز الآلهة الكنعانية القديمة أو اللغة الكنعانية ، أو بعض المعتقدات والموروثات التي ورثها أهل فلسطين منذ أقدم العصور ، وتتمثل هذه الوحدات الزخرفية بأشكال هندسية مثل النجمة الثمانية التي تعود في تاريخها إلى الحضارة الغسولية 4500 ق. م ، والمربع أو المعين وقد ظهرت في عصر البرونز المبكر 3000 ق. م أو نباتية (شجرية . زهرية . ورود . طيور) وتسمى (العروق) وقد اهتم بها الكنعانيون القدماء عندما ربطوا بينها وبين المواسم الزراعية الخاصة بهم فقد بالغوا في استخدام (زهرة الحنون) (شقائق النعمان) التي اعتبروها مثالا هاما لفترة الخصب والنماء في فصل الربيع ، أما في استخدام الطيور في فن التطريز فقد برع فيه الكنعانيون لما له دلالة على السلام الذي كان رمز الحياة القروية لدى الإنسان الكنعاني القديم خاصة في منطقة بيسان، وهذا التواصل بين الإنسان الكنعاني القديم حتى يومنا هذا ، يدل على الجذور الحضارية القديمة للإنسان الفلسطيني على أرض فلسطين واستمرارها دون انقطاع تأكيدا لعروبة فلسطين ونفيا قاطعا لمحاولات الصهيونية تزوير حقائق الجذور للشعب الفلسطيني.

الثوب النسائي الفلسطيني في جنوب محافظة الخليل :

على الرغم من تشابه الشكل الخارجي لثوب المرأة الفلسطينية إلا أن المدقق في شكل فتحة العنق و شكل الأكمام و أشكال التطريز المستخدمة سيعرف أن لكل منطقة شكلا تراثيا مميزا عن المناطق الأخرى، ومما يجدر ذكره أن الثوب الفلسطيني في منطقة جنوب الخليل يتأثر بشكل ما بأنواع الأثواب الأخرى في فلسطين ، وهو مطور وخليط منها إن جاز لنا التعبير، والمدقق في شكل هذا الثوب يجد أنه أخذ من كل منطقة بطرف، وطور وجدد بحيث أصبحت له خصوصيته ، ونمطه الخاص، ومن أشهر أنواع الأثواب التي اقتبس منها الثوب تصميمه وشكله مع اختلافه عنها ما يأتي :

ثوب التوبيت السبعاعي: من قماش أسود عريق يصنع في منطقة بئر السبع (ومنه ثوب العروس السبعاعي، والثوب المرقوم للمتزوجات).

الثوب التلحمي: عريق جداً مخطط بخطوط داكنة.

الثوب الدجاني: نوعان، ذو الأكمام الضيقة، وذو الأكمام الواسعة (الأردن).

ثوب الزمّ أم العروق: أسود ياقته دائرية.

الثوب الأخضراري: من حرير أسود.

ثوب الملس القدسي: من حرير أسود خاصّ بالقدس ومنطقتها.

ثوب الجلاية: منتشر في معظم مناطق فلسطين ويمتاز بمساحات زخرفية من الحرير أو غيره وتُطرز عليه وحدات زخرفية. (www.palestine-info.info) ومما نلاحظه أن الثوب الفلسطيني في جنوب محافظة الخليل اقتبس الكثير، بل وفيه شبه كبير بثوب الجلاية، والزم والأخضاري ، وهذا الأمر طبيعي وذلك للتداخل والتقارب في البيئات الفلسطينية ، كما أنه دليل على التجديد والتطور ، والإبداع في التركيز على خصوصية كل منطقة ، وملاءمة الزي لها .

وسنستعرض فيما يأتي خصائص ومميزات الثوب الفلسطيني في منطقة جنوب محافظة الخليل ، وتضم المناطق الآتية تحديداً : منطقة دورا ، منطقة الظاهرية ، منطقة ، منطقة السموع ، وما يتبع هذه المناطق من قرى وخراب وعزب وتجمعات سكنية ، وهي مجال هذا البحث ، ولا ينفي ذلك وجود مناطق أخرى غير هذه المناطق تشترك معها في نفس الزي وخصائصه ، ولكن استقصاءنا البحثي تضمن هذه المناطق فقط، ونشير إلى ذلك احترازاً ولبيان حدود البحث فقط .

الثوب المطرز:

وهو على أنواع وأشكال مختلفة ، ويحمل دلالات دالة على المنطقة والوضع الاجتماعي والاقتصادي والعمر والحالة النفسية وغير ذلك من الأمور ، وسنستعرض بعض هذه الأزياء ومميزات كل ثوب منها آخذين في الاعتبار أقدمها :

(مجموعة من صور الأثواب الفلسطينية القديمة ، وأسماء العروق التي سميت بها)

عرق البط

عرق الدوالي

عرق السرو

عرق الحمامة



عرق الربيع

ثوب البنات

ثوب مناجل

عرق الزهور



أجزاء الثوب المطرز :

القبة : وهي قطعة القماش المطرزة التي توضع على الصدر، وتكون مزركشة بألوان زاهية ومختلفة في التصميم عن عروق الثوب. حيث تكون لافتة للنظر بألوانها وتصميمها وجاذبيتها ، وتختلف أيضا باختلاف

السن من جهة التطريز، والألوان وحجم التطريز وجاذبيته ، ويظهر فيها فن التطريز بشكل لافت حيث تعد أهم قطعة في الثوب، وهي عبارة عن لوحة فنية متكاملة بديعة الصنع، رائعة الجمال تتجلى فيها الدقة والتناسق والفن . وتتكون القبة غالبا من جناحين، وقلادة في الوسط، وعروق تشبه عرق الثوب الأساسي . وهذه الأجزاء يجب أن تتوافر في كل قبة، فإذا دقت النظر تجدها واضحة وبارزة .

العروق : ولعل هذه التسمية تشببها لها بعروق الشجرة المورفة، والمحملة بالثمار ، فكما أن الشجرة تتألف من عروق كذلك الثوب المطرز؛ وهي ما يوضع على جانبي الثوب الأيمن والأيسر، وتتفنن النساء في تطريزها وزركشتها، وحجمها، وألوانها، وتنسيقها ، ومناسبتها للون قماش، وللسن ، وللمناسبة التي سيلبس بها (من أشهر ألوان الثوب: الأحمر، والأزرق، والكحلي، والأسود، أما الثوب الأبيض فلم يعرف في هذه المناطق مطلقا إلا منذ مدة وجيزة فهو أي اللون الأبيض يميز القبائل اليمينية أما الثوب الأسود فيميز القبائل القيسية وأغلبها في جنوب فلسطين ، ولا تزال هذه التسمية شائعة حتى الآن فيطلق على أهالي جنوب فلسطين (قيسيين) ويحدد بعض كبار السن تلك المناطق بدقة على الرغم من التداخل بين هذه القبائل ، وأماكن سكنها، فيقولون أهل بيت لحم يلبسون اللون الأبيض ويسمى الثوب التلحمي نسبة إلى بيت لحم ، بينما أهل بيت جالا يلبسون الثوب الأسود لأنهم من بني قيس؛ حيث يبدأ اختلاف لون ثوب المرأة وبذا كانت تعرف المرأة بأنها قيسية، أو يمنية في عرفهم من خلال لون الثوب) . وهذه العروق لها أسماء مختلفة : فتسمى إما بأسماء الفصول، أو النباتات، أو الطيور، أو الآنية، أو بعض الظواهر الطبيعية ، أو الأشياء المشهورة في البيئة وهي كثيرة ويقابل ذلك اليوم تماما ما يسمى بالموضة، فإذا ما انتشر عرق من العروق فسرعان ما تقلده كل نساء البلدة، وتتباهى به أول من تخطى ثوبا وتلبسه في المناسبات ، فكأنها حصلت على سبق في لباس موضة مشهورة. وتقوم النساء الأخريات بتقليدها على الفور ، ولكن النسخة الأصلية للوحة الفنية تبقى لصاحبة سبق ، وقد يكون هذا الفن من تصميمها ومن إحياءات البيئة وتخليها ولا شك بأنها رسامة موهوبة لو أتاحت لها فرصة العليم والثقافة لأصبحت من المشهورات بفن الرسم والتصميم أو الهندسة ولا زلنا حتى الآن نختار في مدى دقة هذا الفن .ومن أشهر أسماء هذه العروق التي استطعنا التوصل إليها قديما :

عرق المقلا : وهو أقدمها ، وظهر هذا الثوب لآخر مرة قبل حوالي 45 سنة ولا يزال رسمه موجودا حتى الآن .

عرق الربيع : وهو أيضا قديم جدا ، وسمي بذلك نتيجة ألوانه الزاهية بلون ورود الربيع ، وغني عن الذكر أن كل عرق يحمل اسما يمثله ويدل عليه دلالة واضحة من خلال الرسوم التي تكونه، فإذا دقت النظر تجد تلك الأسماء ممثلة في ذلك العرق ، ومنها أيضا :

عرق الزهور، عرق العصفور، عرق الدوالي : عرق النسرو، عرق السرو ، عرق البط ، عرق الحمامة، عرق خط بارليف) استحدث أخيرا كانت صورته متشابهة ومعقدة وخياطته صعبة جدا دلالة على الوضع الراهن والمعقد والصعب ... وهذا دليل على تطور ذلك الفن ومواكبته للأوضاع الراهنة التي مرت بها فلسطين، (...). وهكذا يحمل كل تطريز اسما معينا دالا عليه.(ويظهر في الصور المرفقة أعلاه أسماء هذه العروق وأشكالها).

الذبال : ويشكل القطعة الخلفية من أسفل الثوب ، حيث يتم تطريزه بشكل يتوافق مع العروق وهي جمع كلمة ذبل ، ويميز الثوب من الجهة الخلفية السفلى عن الجهة الأمامية.



الذيال) وهو عبارة عن القطعة الخلفية السفلى من الثوب ويكون على نفس نمط العروق)

التكبيسة أو الديارة : وهي ما يتم خياطة الثوب به من الأسفل ليقى الثوب من التلف والتمزق نتيجة احتكاكه بالأرض، وهو قوي جدا ولا يبلى إلا بابتلاء الثوب نفسه .

المناجل : وهذه التسمية نسبة إلى المنجل ، وهي ما تقوم المرأة بخياطته بجانب العروق مباشرة لتفصل بينها، وهو عبارة عن تطريز خفيف ، وأشهرها المنجل التلحمي، ومنجل الزرد .وقد يتكون الثوب نفسه من المناجل وتلبسه كبار السن فقط، لعدم ملاءمة الألوان الزاهية وغازرة التطريز لأعمارهن وقد تلبسه المرأة الثكلى والمطلقة والعزباء والأرملة .

الأردان (الأكمام) : يختلف شكل كم الثوب الفلسطيني تبعا للتطور ، فقد كانت أكمامه في البداية عبارة عن أردان طويلة ، وتعقد خلف الظهر ، وتستر اليدين بوساطة الزعابيبط ، ثم تم اختصار كمية القماش التي في الأردان لتختصر على شكل نصف كم ويزين بالتطريز . وكلاهما يلزم لبس الزعابيبط ، وأخيرا تم عمل الأكمام من نفس قماش الثوب وعمل تطريز على طرف الكم بطول الذراع ومن جهة الرسغين .



صورة لثوب بأردان طويلة

الزعابيط : قطعة ملونة من القماش تتم خياطتها وتلبس على الأذرع لكي تغطيها، ؛ حيث تعقد الأردن خلف الظهر، فتتكشف يدا المرأة إلى الرسغين فتضطر المرأة إلى خياطة هذه القطعة وتلبسها لكي تستر بها من انكشاف من يديها وإذا لبست المرأة بدلة تحت الثوب فلا تحتاج إليها .



ثوب يمثل عرق المقل وهو من أقدم العروق وتظهر الزعابيط على اليدين حيث تعقد الأردن وراء الظهر، كذلك تظهر صورة الحزام (شد الصوف وحزام الربيعات)

هذه أشهر أجزاء الثوب الفلسطيني المطرز وهناك نوع آخر من الأثواب وهو ما يسمى:

ثوب الملقّة : وهو منقرض تماما الآن في المناطق التي نتحدث عنها ، ويتكون هذا الثوب من قطع ملونة من القماش توضع بجانب بعض بشكل متواز وتخاط هذه القطع مع بعضها بعضا بحيث تشكل ثوبا متكاملا ملونا بألوان القماش المختلفة (سرائح) ولا يطرز عليه أي نوع من التطريز ويكتفى بألوان القماش الزاهية الخضراء والصفراء والحمراء... لتقوم مقام التطريز؛ بحيث تشكل نسقا جميلا لشكل الثوب ، وعلى الرغم من عدم شيوعه بشكل كبير إلا أنه كان من الأثواب المحببة للنساء وبخاصة المجددات لخفته وسهولة عمله وبساطته مقارنة بالثوب المطرز الذي يستنفذ الكثير من الوقت والجهد والمال والعمل من قبل المرأة لصنعه، ولا يلبس هذا الثوب في المناسبات ولا تخرج به المرأة خارج حارتها أو بيتها .(ونتوقع بأنه يشبه إلى درجة ما الثوب الذي ترتديه المرأة اليسرى في الصورة السفلى).



ثوب منطقة بئر السبع : على الرغم من أن هذا الثوب قد ظهر في جنوب محافظة الخليل في المناطق التي ذكرناها تحديداً وذلك بعد هجرة كثير من بدو السبع وسكناهم هذه المناطق التي تعد من أقرب المناطق إليهم واستقرارهم بها إلا أن هذا الثوب لم ينتشر مطلقاً بين سكان تلك المناطق المذكورة ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من خصوصية كل منطقة ، وتميزها عن غيرها من المناطق ، فعلى الرغم من أن هذا الثوب أصبح يشاهد بكثرة في المناطق المذكورة إلا أنه لم يقلد ، وظل سمة مميزة للمرأة البدوية بأصالتها وعروبيتها وعراقتها ، وهو من أقدم الأزياء الفلسطينية، ولذا أحببنا أن نشير إلى هذا الزي العريق لانتشاره في تلك المنطقة .



وسنتحدث الآن عن مكونات الزي الفلسطيني الأخرى الخاصة بالنساء، والتي تلبسها المرأة بالإضافة إلى الثوب المطرز مشكلة بذلك صورة فنية ولوحة رائعة تتفنن في رسمها وتنسيقها ؛ مما يؤكد ما كانت تتمتع به المرأة الفلسطينية من ذوق رفيع، وأصالة متوارثة عن سلسلة حضارية طويلة ومتعاقبة .

الحزام (حزام صوف) أو (الشد): وهو عبارة عن قطعة مربعة صوفية لون أزرق أو أشهب، تحمل به كسوة العروس (خشة الدار) ويزين من الأطراف بألوان مغايرة ، وله شراشيب ولا تظهر عند اللبس ، ولكنها تتجمع على الظهر عند منطقة الخصر ، ويطوى بالورب، وتشده المرأة على وسطها ، وغالبا ما تلبس المرأة المتزوجة اللون الأشهب والفتاة العزباء والكبيرة في السن اللون الأزرق ، وسمي بالشد لأنه يشد الخصر والبطن ويقي بطن المرأة من الترهل نتيجة الحمل أو التقدم في السن ، وله استخدامات عديدة فقد تلف به المرأة رأسها في الشتاء ، أو عند النوم ، وقد تحله وتغطي به ابناها إذا نام خارج البيت، وكان قديما يستخدم لحمل الحطب (النتش) إذا تعذر وجود حبل ، أو القمح أو أي شيء آخر إذا تعذر وجود إناء أو حبل تحمل فيه المرأة شيئا ما من احتياجاتها ، وقد تنزعه داخل بيتها ، وتمشي بدونه وعندها يقال لها (مرفدلة) أي لا تشد وسطها بحزام.

حزام الربعات: وهو شبيه بالشد ، وبنفس الجودة تقريبا إلا أنه ذو ألوان مختلفة كما ترى في الصورة المرفقة والموضحة لذلك ،ويستخدم للأغراض نفسها ، وسمي بحزام الربعات لاستخدامه كثيرا في منطقة دورا وقراها وكان قديما يميز المرأة الربعية من غيرها ، وكانت النساء في المناطق المجاورة تتزيا به أحيانا.

البدلة: (ويقابلها اليوم الفستان) وهي عبارة عن أقمشة ملونة جذابة تفصل وتخاط لتلبس تحت الثوب ، حيث تكون أكثر نعومة وهي على أنواع شتوية وصيفية ، وإذا لبست المرأة البدلة تستغني عن الزعابيب .

الغدفة: قطعة من القماش الأبيض مربعة الشكل بطول مترو نصف تقريبا، تلبسها المرأة على رأسها وتغطي تقريبا أغلب جسمها ، وتسترها من الرأس إلى أسفل الظهر، أي أغلب جسمها وكذلك صدرها ، وهي مطرزة بشكل جمالي ، وتختلف باختلاف العمر ، ويتم تزيينها من الأسفل بنسيج شبكي مع شبك تقوم بعمله المرأة بواسطة السنارة ويعلق به الهدب الذي يقوم الرجال بعمله و بفتله لقوة أيديهم وعضلاتهم فيضفي على الغدفة

صبغة جمالية فائقة وقد تكون مجردة من النسيج الشبكي والهدب . أو قد تكون مهدبة فقط كما ترى في الصورتين السفليين ، وهي قديمة جدا.

(صورة للخدفة وهي على أنواع ويبدو الهدب المفتل والنسيج الشبكي ، كما تبدو في الصورة كيفية ارتدائها)



الششية : وهي تشبه الخدفة ولكنها أصغر منها حجما، وتتكون من قماش خفيف شفاف تلبسها المرأة في البيت أو عندما تكون في الحارة وعند جيرانها ، ولا تخرج بها إلى البلدة أو السوق أو العمل ، وقد تلبسها

أثناء العمل في الحقل بعد أن تصل إلى المكان الذي تقصده وتكون بين أهلها وذويها ، وغالبا ما يتم تزيينها بتطريز خفيف على الأطراف وغالبا ما تكون بيضاء خالصة .

المنديل : وهو معروف ومشهور وتلبسه المرأة وقت العمل في المحصد أو أثناء الحلب وغالبا ما يكون تحت الغدفة مباشرة، وباستمرار فإذا وصلت بيتها أو مكان عملها تخلع الغدفة لتقلها لأنها غير عملية . وتعيقها عن العمل .

الشبكة : ويتم نسجها على السنارة بألوان مختلفة وبشكل بديع وتزخرف بالخرز الملون الملائم يسمى بالمطوايح، وتتدلى على الجانبين ومقدمة الرأس ، بحيث تضيء جمالا على الشبكة ، وقد تكون بدونه ، وقد تنسج بخيوط سوداء بلون الشعر، تلبسها المرأة وتلف شعرها بها في داخل بيتها . (والقطعة التي في الصورة المرفقة تعود إلى ما يقارب الستين عاما مضت) . وكانت تتغنى بها النساء في سهراتهن :

يمات الشبك والمطواحي حراج عليك للمصايح

(صورة الشبكة وتبدو مزينة بأشكال الخرز الملون ، وهي قطعة نادرة وقديمة جدا تعود على ما يقارب الستين عاما)





الوقاة: لباس الرأس، وهي خاصة بالفتيات الصغيرات، والبنات قبل الزواج وهي صورة مصغرة عن العريقة ولكنها أخف منها ولا يطرز إلا أطرافها (مثل الطاقية التي تلبس تحت العريقة) ، وهي دليل على أن هذه البنت غير متزوجة وتتميز بها ، ولها سفائف لتلف بها شعرها من الخلف، وتزين بقطع فضية قليلة قد لا تتجاوز قطعتين (الريالات)، وقد ضرب بها المثل فليل (معدلة يم الوقاة) أي شاطرة وماهرة على الرغم من صغر سنها.



الملاية (الملاء) : وهي عامية عن الملاءة وهي عبارة عن قطعة كبيرة من القماش الملون والمزركش بألوان مختلفة تشبه إلى حد ما الشرشف ، يقال لقماشها (هرمزي) قد يكون نسبة إلى مضيق هرمز ولعله يستورد من باكستان أو إيران أو الهند . قد تلبسها النساء الكبيرات في السن والموسرات ، وتثنى لكبر حجمها وهي

تشبه إلى حد ما الغدفة ولكنها أكبر منها ، وتستورد جاهزة ولا تحتاج إلى خياطة أو تطريز للعناية الفائقة بألوانها وهي مفيدة جدا في الشتاء. وقد انقرضت تقريبا ولم يعد لها وجود حاليا.

التقصيرة : وهي عبارة عن جاكيت قصيرة تلبس فوق الثوب وبدون أكمام . وتكون مطرزة على حرير أسود وألوانها جذابة، وتطريزها كثيف يشمل أغلب القماش ، وقد تعمل مرة واحدة في العمر لكثرة ما تحتاج إليه من جهد وعناء ، وتتباهى بها النساء . وتلبس صيفا وشتاء وهي جميلة الشكل ، ونرى اليوم كثيرا من المطرزات الحديثة المقتبسة من ذلك التراث . والقطعة السفلى هي تقصيرة نادرة جدا . ويظهر من خلالها فن التطريز الفلسطيني العريق .



العريقية : وهي اللباس الرسمي لغطاء الرأس للمرأة المتزوجة قديما، وهي مكلفة جدا من حيث طريقة تطريزها وتفصيلها وتقوم المرأة بعملها مرة واحدة في العمر فهي لا تبلى لكثرة الاعتناء بها ، وتزين بزخارف جميلة وتخاط باللون الأحمر الغامق فقط ، ويغطي التطريز كل أجزائها فتبدو القطعة سميكة وكأنها رقعة من جلد لكثرة ما يطرز عليها من خيوط ، وتزين بالذهب والريالات الفضية والخيريات (قطعة ذهب أخف من العملي ويبدو أنها أقل عيارا أيضا) ، وتوضع أسفل الذقن (المحنكة) وهي قطعة كبيرة من الذهب (

المخمسية) وتقارب وزن خمس عسمليات تقريبا ، وقد تلبس بدون هذه الجواهر، إما لخفة الوزن ، وإما لأن المرأة معوزة فاضطرت لبيع مصاغها ، ولا بد من خياطة طاقية مزركشة الأطراف تلبس تحت العريقية ولها لفائف لتلف بها المرأة شعرها وتحافظ عليه ، وهي ثقيلة الوزن ، وقد بدأت النساء تتحلل منها منذ فترة طويلة ربما من خمسينات القرن الماضي ولكن بعضهن لا زلن يحافظن عليها ويرتدينها وبخاصة كبار السن في مناطق وقرى محافظة الخليل الجنوبية ، وتعد اليوم من القطع التراثية النادرة والثمينة جدا ، (ويبدو في الصورة المرفقة شكل التطريز من الداخل والخارج لعريقية حقيقية غير مكتملة وهي قطعة لامرأة توفيت قبل أن تكمل تطريزها) .

(صورة لعريقية قديمة جدا وتظهر عليها أجزاءها وشكل وضع الريالات على العريقية ، وهناك صورة لعريقية أخرى بدون ريالات ، وتمثل شكل تطريز العريقية من الداخل والخارج ويعود هذا التطريز إلى سبعين عاما تقريبا)



الطاقية : وهي من مستلزمات العريقية السابقة ، وقد تلبس أحيانا بدون العريقية في حالات خاصة ، وهي مزركشة الأطراف بتطريز بلون ملائم للعريقية .

الجباعة : وهي تشبه الجاكيت بدون أكمام ، تخاط من قماش أسود ثقيل (توبيت) وتكون على وجهين ، وتحشى بالصوف أي توضع طبقة رقيقة من الصوف الجيد بين قطعتي القماش وتتجد جيدا وتلبسها المرأة الطاعنة في السن في الشتاء ، وقد انقرضت تقريبا ، وهي إلى حد ما تشبه التقصيرة ولكنها تختلف عنها إذ لا تحتوي على التطريز ، والتقصيرة للصبايا والجباعة لكبيرات السن .

زي العروس : استكمالا للزي التراثي الشعبي نرى أن نستعرض بشكل موجز ملابس العروس الفلسطينية التراثية في المناطق التي تحدثنا عنها ، فلا شك أن العروس تلبس أجمل ثيابها بعد أن تكتمل زينتها وحناءها ولوازمها، ثم يؤتى بالجلال وتلبسه قبل أن تخرج حيث يغطي العروس من رأسها إلى قدمها، فهي مقبلة على رحلة شاقة وتضطر للخروج والانكشاف أمام الرجال الذين يكونون حول الهودج، ولا يغادرونه حتى تصعد فيه العروس ويطمئنون على سلامتها ، ولذا لا بد من لباس ساتر لا يظهر منه شيء، ويتكون الجلال من الشد (حزام الكشمير الأشهب اللون حيث يلائم المناسبة ، ويوضع من جهة وجه العروس؛ حيث يسمح لها بالرؤية، ويخاط على قطعة قماش ثقيلة تستر الظهر وباقي الجسم وهي غالبا من قماش الكبر (القمباز) الذي يلبسه الرجل، ويوضع إطار للرأس من القماش الثقيل المخيط (يشبه العريقية) ويزين بمجموعة من ريش النعام التي تضيف جمالا وهيبه على الجلال ، وتخاط الريالات التي سوف توضع على العريقية تحت ريش النعام على قطعة القماش الثقيلة المثبتة بشكل جيد ويناسب الرأس . حيث تعمل على تثبيت جلال العروس وتحفظه من حركة الريح التي تتلاعب به أثناء المسير، ثم تنتثر بقية مصاغ العروس أي قطع الذهب (العسلي) على الشد الأحمر على شكل قلائد، وقد كان قديما كل ذلك من الذهب الخالص، حيث الأمن والأمان ولم يعرفوا الذهب الروسي ولا الذهب المقلد، ولا الطلاء، وغالبا ما تكون كل هذه الأشياء إما لوالدة العروس أو لأختها ، أو إحدى قريباتها لأن العروس تكون مرتدية لمصاغها بالكامل ، فتضيف تلك القطع الذهبية عليه رونقا جميلا ومنظرا أخاذا يلمع بريقه كلما سطعت عليه الشمس ، وتعلق المرأة (وتسمى المكحلة وبها زينة العروس كاملة، حيث تحتوي على ثلاثة قناني زجاجية تحتوي كل واحدة منها على نوع من أنواع الزينة حيث

توضع في إحداهما الكحل . وتوضع على مقدمة رجل الجمل أمام العروس . وكثيرا ما يضطرون إلى إنزال العروس مرة ثانية وتعديل ما مال من الهودج، أو شد حبل قد ارتخى أثناء العمل والهودج يحمل كل أمتعة العروس ولا شك أن كل هذه الأمتعة مصنوعة من الصوف الناعم . وقد ينزلق الحبل من هنا أو هناك ... فإذا ما اطمأنوا إلى سلامة الهودج ينطلق الجمل بما حمل فعندها يتفرقون ويذهبون إلى بيت العريس ليعيدوا الكرة مرة أخرى بعد إنزال العروس من هودجها من قبل نساء خبيرات ومختصات أيضا بهذا العمل ، وبعد ذلك يقوم الرجال بتفكيك وحل ذلك الحمل الثقيل الذي حمله الجمل ويذهبون بتلك الأمتعة إلى بيت الزوج .

أما الهودج نفسه فهو من اختصاص الرجال وعملهم لصعوبة تكونه وكثرة محتوياته فهو يضم كل ما سيحتوي عليه بيت الزوجية من أثاث وأوان ، فلا تقترب النساء من الهودج إلا بعد أن يكتمل إعداده بشكل محكم وقوي ولا مجال فيه للاحتتمالات ، وهو عبارة عن الفرش الذي ستخدمه الزوجة ويكون عادة في بيت العريس؛ حيث يتم إعداد الهودج هناك بعد الانتهاء من الغداء ، فيبدأ المختص بعمل الهودج بتصفيط محتوياته بشكل مرتب وأنيق على جانبي الجمل، حيث يبدأ أولا بترتيب البسط واللحف والفرشات بشكل متوازن على ظهر الجمل، وتشد بالحبال بإحكام ، ثم يؤتى بالمخدات (وتسمى اليسادق ؛ ولعلها كلمة فارسية أو تركية) الطويلة التراثية ، وهي محشوة بالصوف وهي مخدات العروس نفسها وعددها 10 أو 8، ويعمل على شكل دائرة ، يكون منتصف المخدة تحت الرجل ونصفها الآخر فوقه وتشد جيدا بالحبال (محص الجمل) حيث المكان الآمن الذي ستجلس فيه العروس ، ويكون معد الهودج قد ثنى بعض اللحف والفرشات لتكون تحت العروس ويعد لها مكانا مريحا ، وستكون الحبال من كل جانب بحيث تمسك بها العروس أثناء الصعود، والنزول أو إذا أرادت أن تتحرك داخل الهودج، أو تغير من جلستها، ويسمح لها هذا المكان بالجلوس كيفما شاءت ، متربعة أو على ركبتيها ولكن الجلسة المفضلة هي أن تثني رجليها وتجلس على ركبتيها فتبقى منتصبه فيزيد ذلك من جمال المنظر، ويظهر الجلال بأبهى صورته ، وتعلق على جانبي الجمل مخلاة فيها ملابس العروس، وذلك على كل جانب من جوانب الجمل فوق اللحف والفرش حيث تحتويان على كل ما يلزم العروس من ملابس وثياب ، ويعلق بجانب المخلاتين كنفان (الكنف أصغر من المخلاة وهو منسوج من الصوف الأحمر والملون ويقابل اليوم شنتة اليد) ويوضع في أحدهما صابونة وهو الأكبر حجما ، ويملاً الأصغر بالحو (حاض حلو)؛ حيث تقوم العروس بتوزيعه في الصباح للزائرين

والمهنيين ، ويستعمل فيما بعد لأغراض شتى لا تحصى. حيث يوضع فيه الخبز ، وتستخدم المخلاة لنقل القمح من مكان إلى مكان ، ولقطف الذرة (قطاعة الذرة)؛ حيث يعلقها الرجل في كتفه ، واستخداماتها كثيرة وهي مشابهة لحقيبة السفر ، ويوضع على الجمل أيضا الصينية والقده والقبعة (وهي أدوات مصنوعة من القش) وكل ما يلزم بيتها من أوان . ويقوم رجل خبير بعمل الهودج بشكل محكم، وقد لا يوجد في البلدة غيره تقريبا ويعاونه بعض الرجال الأشداء فالأمر يتعلق بعروس ، وبعد إحكامه وتزيينه على ذلك الجمل المحظوظ والمخصص لهذه الغاية: فهو وديع ، وجميل ، وصديق للنساء ، فهو يحب الغناء والمناظر الجميلة وقد ألف ذلك واعتاده فلا يضيق ولا يتذمر ، بل يراعي جلال الموقف وهيبته فيشارك الناس في أفراحهم ، وغالبا ما يزين رأسه بمنديل أحمر أو ملون ويوضع على رأسه الهدب الملون الكبير كالذي يوجد على مرآة العروس (وهو في العادة أي المنديل يهدى لصاحب الجمل وذلك تقليد متبع حيث لا يعاد الجمل بدون المنديل حيث يعد هدية ثمينة واعتبارية وذكرى لعدد ما حمل ذلك الجمل من عرائس) . ، وبعد ذلك تأتي العروس بجلالها المهيب والوقور، فهي مقبلة على رحلة العمر على ظهر هذه السفينة الجميلة، ويبتعد الرجال عن الهودج ويفسحون المجال للنساء ،ولكنهم لا يغادرونه حتى تصعد فيه العروس ويطمئنون على سلامتها ،وكثيرا ما يضطرون إلى إنزالها مرة ثانية بعد أن يقوم الجمل ويمشي بضع خطوات إذا شاهدوا بعض الخلل ولو كان بسيطا ثم يعدلونه، أو يشدون بعض الحبال؛ حيث الجميع يكون في وضع المراقبة ، وقد يحدث ذلك أيضا في أثناء الرحلة ، ولا شك أن الأنظار كلها موجهة نحو ذلك الهودج الجميل فإذا شعرت النساء بأن هناك خلا ما ،أو تطلب العروس ذلك إذا م اشعرت بذاك الخلل وعدم ارتياحها على الهودج ، فتوقف الجمل وتبركه في مكان سهل، وسرعان يا يطير الخبر إلى الرجال فيأتون بسرعة البرق لإصلاح ذلك الخلل البسيط ، والهودج كما ذكرنا يحمل كل أمتعة العروس (البيت القديم بكل مكوناته)..

وتصطف النساء خلف الجمل وتغطي كل النساء بشراشف فلا يبدو منهن شيئا، ويبدان بالغناء خلف الجمل حتى تصل العروس إلى مستقرها ، ويجب أن يمر الجمل بأغلب حارات القرية وأزقتها إعلانا بهذا الزواج ، ولهن أغان معتمدات ابتداء من خروج العروس من بيتها حتى وصولها إلى منتهاها، وكل مرحلة في هذه الرحلة لها أغان محددة ، فعندما تهم العروس بالخروج من بيت والدها : تغني النساء :

قومي اطلعي قومي اطلعي من يمك وحننا حطينا حقوق أبوك وعمك

قومي اطلعي قوم اطلعي من حالك وحننا حطينا حقوق أبوك وخالك

(وذلك إشارة إلى دفع أهل العريس للبلصة للعم والخال وهي عادة قديمة انقرضت الآن وتتمثل في دفع مبلغ من المال للخال والعم ، ويستخدمانها للنقوظ، وقد يحتفظان بنصيب يسير لهما).

وعندما تخرج يبادرن بالغناء :

يخلف عليكو كثر الله خيركو حُمننا القرايا ما لقينا غيركو

يخلف على أبو محمد يخلف عليه بالأول

طلبنا النسب منو وأعطانا غزال مصور

وعندما يقوم الجمل ويهم بالمسير يغنين :

رفرفت على جمها يو الحرير والزين دملها

وعندما تصل العروس إلى بيت زوجها يغنين بأغاني الانتصار والفرح :

جيناها وجينا هنشمية وصار السعد يدرج علعية

جيناها وجينا هلفلاحة وصار السعد يدرج عطراحة

بقت ليكو وصارت لينا هلاصيلة وصار السعد يدرج علحصيرة

وهكذا إلى أن تصل إلى بيتها، والنساء يغنين بأغان تلائم كل موقف وكل بيت وكل رجل مشهور يصلن إلى بيته، أو يرينه في الطريق ، وبعد نقصا له وذما إذا لم يذكرنه بالغناء والمديح ولا شك أن الفرحة كان يضم كل نساء القرية، ويشعر الرجال بالنشوة والفخر لدى سماع هذه الأغان . وهناك نساء مبدعات يستطعن ارتجال الأغاني بسرعة فائقة لمناسبة أي طارئ ، وهن شاعرات بالأصل، ويعرفن بحور الشعر والوزن والقافية دون أن يدرسن ذلك في مدرسة، أو جامعة بل بالسليقة والفطرة ويطلق على المرأة التي تتبدع الأغاني والشعر (البداعة) ولا شك أنها مبدعة في ذلك . فكل مرحلة من مراحل هذه الرحلة التاريخية التي لا تنسى لها

مزايها وخصائصها ولا بد من ملاءمتها لكل هذه المواقف، وكأنهن بذلك يخلدن ذلك في ذكرى العروس التي تجلس كملكة على عرشها.

(يظهر في الصورة مجسم لشكل الجلال الذي تضعه العروس عند الخروج من بيت والدها وترتيبه وهي على الهودج ، وهو منقرض الآن وكذلك المكحلة التي تحتوي على قناني زجاجية في أعلاها وتوضع أمام الهودج)



المراجع

1. موسوعة الفولكلور الشعبي الفلسطيني، نمر سرحان (ط2) 1989
2. د. محمد علي الفراء، تراث فلسطين، دار الكرمل، عمان 1989
3. عوض سعود عوض، تعبيرات الفولكلور الفلسطيني، كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 1993.
4. دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني ، ناجي عبد الجبار ، عدلة غوشة ، جمعية إنعاش الأسرة - البيرة.
5. د. منعم حداد، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، الطيبة 1986
6. مجموعة باحثين (إعداد عبد العزيز أبو هذب)، التراث الفلسطيني جذور وتحديات، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، 1991.
7. الثوب الفلسطيني التراثي نتاج حضاري عبر آلاف السنين وتعب الجدات والأمهات منذ الكنعانيين - خولة أسعد
8. عبق التاريخ في... التراث الفلسطيني.
9. إسرائيل تسرق الكوفية.. رمز القضية الفلسطينية.
10. الباحث نفسه كمصدر معاصر لبعض الأزياء .
11. بعض النساء المعمارات وبخاصة الحاجة رفقة الحاج محمد منصور أبو جبين .
12. وثائق ومنشورات ومصورات بلدية الظاهرية .
13. الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة.
14. الموسوعة الفلسطينية، المجلدات من 1 - 4.
15. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
16. www.palestine-info.info
- 17.

[Woven Legacy, Woven Language](#) Jane Waldron Grutz (January-February 1991)

Saudi Aramco World. Retrieved 2007-06-04.